شرح اسم الله الأول والآخر والظاهر والباطن في ضوء حديث أبي هريرة t

د. نوال بنت عبد العزيز العيد*

سلم البحث في ١٤٣٥/١٢/١١هـ اعتمد للنشر في ١٤٣٦/٢/٩هـ

ملخص البحث:

العلم بالأسماء والصفات على قسمين: ما يتعلق بها وإثباتها، وقواعد الأئمة في ذلك، والرد على المخالفين من أهل التأويل والتحريف والتعطيل، والتشبيه والتكييف والتفويض، والثاني: ما يتعلق بأثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على منهاج السلف الصالح في حياة المؤمن خاصة، وأمة الإسلام عامة، وهو ما يحتاج إلى مزيد من الاهتمام، إذ هو ثمرة الإيمان بهذه الأسماء. وحديث أبي هريرة t ؛ الدال عليها روي بسند صحيح، وأحسن ما قيل في تفسيرها ما وردت به السنة، ومن أبرز الآثار المسلكية للإيمان باسم الله "الأول، والآخر" أن عبوديته جل وعلا بهذين الاسمين تقتضي دوام الفقر والاضطرار إليه، وتورث إفراده سبحانه بالألوهية والمحبة والقصد، ومعرفة حقيقة الدنيا، وأن في الإيمان باسم الله "الظاهر" استقامة العبودية لله، ومن آثار التعبد باسمه "الباطن" وما يقتضيه، من ظهور كل شيء له سبحانه، بما يدفع إلى التعامل بمقتضى هذا الشهود، ومن الآثار الإيمانية أيضًا أنه بعد اليقين بإحاطة الله للكون، وأنه هو الباطن الذي ليس دونه شيء، يكون دافعًا بأن تحرص أن يكون لك خبايا من عمل صالح يقربك إلى الله، ومن ثمرات الإيمان بذلك أيضا، استشعار قرب الله الخاص من عباده المؤمنين، وأن من علم أن الله هو "الظاهر" الغالب علم أنه ناصر دينه على جميع الأديان، ومن الآثار الإيمانية للأسماء مقترنة: دلالتها بمجموعها على إحاطة الله الزمانية والمكانية، مما يكون له أثر في عون العبد، ودفع تسلسل الوساوس والشكوك.

Abstract:

Shows this research the meaning of the names and attributes of God Almighty, and the implications of faith in the names of God, especially

* أستاذ الحديث وعلومه المشارك بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

those confined this research for his statement of these names, and knowing the names of God and attributes related to it and recognized, and the rules of the imams in it, and to respond to the violators of the people of interpretation and distortion and disruption, the analogy and air conditioning, authorization, and the second is the impact of faith in the names and attributes of God on a platform of Ancestors in the private life of the believer, and the nation of Islam General

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا..أما بعد: ولما كان شرف العلم من شرف المعلوم، كان العلم بأسماء الله وصفاته أشرف المعارف والعلوم، فهو الله الذي لا إله إلا هو رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم، والعلم به سعادة في الدارين، والجهل به أصل الشقاوة، يقول ابن القيم: "ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم ومعبودهم جل جلاله فوق مراتب هذه الحاجات كلها فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم، إلا بأن يعرفوه ويعبدوه، ويكون هو وحده غاية مطلوبهم ونهاية مرادهم، وذكره والتقرب إليه قرة عيونهم وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل" (١)

والعلم بالأسماء والصفات على قسمين:

الأول: ما يتعلق بها وإثباتها، وقواعد الأئمة في ذلك، والرد على المخالفين: من أهل التأويل والتحريف والتعطيل، والتشبيه والتكييف والتفويض.

الثاني: ما يتعلق بأثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على منهاج السلف الصالح في حياة المؤمن خاصة، وأمة الإسلام عامة.

ومما لاشك فيه أن العلم بأثر الإيمان بأسماء الله وصفاته في الحياة أمر بالغ الأهمية، ومن ذلك: أن له أثرا عميقا في حياة المؤمن، فهو الثمرة الحقيقية للإيمان بأسماء الله وصفاته، وهو طريق لمحبة الله وخوفه ورجائه، وزيادة الإيمان واليقين وتحقيق التوحيد، والتذوق لطعم العبودية، كما أن التعبد والتفقه بأسمائه وصفاته ينتج

آثارًا طيبة في الموقف من المصائب والشدائد، كما يزرع في القلب الأدب والحياء من الله، وينتج أيضا سلامة القلوب وسلامة الأخلاق.

وأخيرًا.. مما يؤكد أهميته أنه مع ما ذكر من أثره في النفوس المؤمنة إلا أنه لا تزال الكتابة فيه ضعيفة، ويظهر ذلك في دراسة هذا العلم إذ يركز على الجوانب الذهنية المجردة وتصحيح التصور،، وهذا حق ومطلوب لكنه ليس هو المقصود فحسب، بل لابد أن يضم لتلك الدراسة ما يظهر من ثمار وآثار على النفوس [٢].

ومشاركة في ذلك كان هذا البحث المتواضع المسمى "شرح اسم الله الأول والآخر والظاهر والباطن في ضوء حديث أبي هريرة t "، دراسة للحديث، وشرح لهذه الأسماء المباركة، وبيان للآثار المسلكية للإيمان بها..

منهج البحث:

١. أعتمد غالبًا على أمهات المصادر والمراجع الأصلية في التحرير والتوثيق والتخريج والجمع.

٢. تكون الإحالة على المصدر بذكر اسمه، والجزء، والصفحة، إذا كان النقل بالنص، أما إذا كان النقل بالمعنى فيسبق بكلمة: انظر.

٣. أعزو الآيات مع ذكر رقمها.

٤. التزمت تخريج الأحاديث النبوية، فإن كانت في الصحيحين أو في احدهما اكتفيت بالعزو لهما لتلقي الأمة لهما بالقبول، وإن تكرر الحديث في صحيح البخاري اخترت أقرب الألفاظ الدالة على المسألة، وأحلت على اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث والجزء والصفحة، وغالباً ما أوردها في الحاشية، إلا إن ترجحت مصلحة لذكرها في الأصل.

٥. وإن كان الحديث في غير الصحيحين اجتهدت في عزوه لمصادر السنة المختلفة مبينة رقم الحديث والجزء والصفحة، ثم درست إسناده، ونقلت أقوال الأئمة المتقدمين في الحكم عليه إن وجد، وإن كان في إسناده ضعف وله متابعات وشواهد يرتقي بها أشرت إليها، والتزمت الحكم على إسناد كل حديث أورده.

٦. أجعل الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وكذلك توصياته.

٧. ألحقت البحث بفهرسين: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

خطة البحث:

المبحث الأول: تخريج الحديث.

المبحث الثاني: شرح اسم الله الأول والآخر والظاهر والباطن: وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: شرح اسم الله "الأول".

المطلب الثاني: شرح اسم الله " الآخر".

المطلب الثالث: شرح اسم الله "الظاهر".

المطلب الرابع: شرح اسم الله "الباطن".

المبحث الثالث: الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الأول والآخر.

المبحث الرابع: الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الظاهر والباطن.

المبحث الخامس: الآثار المسلكية للإيمان بأسماء الله "الأول، والآخر، والظاهر، والباطن" مقترنة.

الخاتمة.

المبحث الأول
تخريج الحديث

ورد في السنة المطهرة النص على اسم الله الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فقال الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع رقم ٢٧١٣(٢٠٨٤/٤): حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين

وأغننا من الفقر» وكان يروي ذلك عن أبي هريرة **t** عن النبي **e**.

تخريج الحديث:

وأخرجه أبو داود (٣٩٢/٧) ٥٠٥١ بنحوه، والترمذي (٤٧٢/٥) ٣٤٠٠ بنحوه أيضًا، والنسائي في السنن الكبرى (١٩٧/٦) ١٠٦٢٦، والنسائي أيضا في عمل اليوم والليلة (ص: ٤٦٣) ٧٩٠ بلفظه، وابن ماجه (٣٩/٥) ٣٨٧٣ بنحوه، وأحمد (٥٢٠/١٤) ٨٩٦٠ بنحوه، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (ص: ٤٦٣) ٧٩٠ بلفظه، وابن خزيمة ٢٦٦/١-٢٦٧ بنحوه، وابن حبان (٣٤٨/١٢) ٥٥٣٧ بلفظه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٥٧/١) ٤٨٣ بنحوه، من طرق عن سهيل بن أبي صالح به. وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (١٢١٢)، وأبو داود (٣٩٢/٧) ٥٠٥١، والنسائي في "الكبرى" (٣٩٥/٤) ٧٦٦٨، وابن خزيمة ٢٦٧/١-٢٦٨، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٣٨/١) ١٢، من طرق عن وهيب بن خالد، به نحوه.

- وليس في روايتي أبي داود والبيهقي في موضعه الأول: "اقض عني الدين وأغنني من الفقر".
- ولم ترد عبارة: "ورب العرش العظيم" في جميع هذه الروايات التي من طريق وهيب بن خالد.

وأخرج مسلم (٧٩/٨) ٧٠٦٦، والترمذي (٥١٨/٥) ٣٤٨١، وابن ماجه (١٢٥٩/٢) ٣٨٣١، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٨/١) ٥٣، وابن خزيمة (٢٦٥/١)، والدعاء للطبراني (ص: ٣١٧) ١٠٤٣، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٩٨/٦ من طرق عن الأعمش، عن أبي صالح، به نحوه.

- لم ترد عبارة: "ورب الأرض" في جميع هذه الروايات التي من طريق الأعمش – عدا رواية مسلم-.

– وعندهم جميعا في أوله: جاءت فاطمة إلى النبي **e** تسأله خادما...

وفي الباب أيضا عن عائشة عند النسائي في "عمل اليوم والليلة" (ص: ٤٦٣) (٧٨٩) "... قالت: كان رسول الله **e** من آخر ما يقول حين ينام وهو واضع

يده على خده الأيمن وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك..

المبحث الثاني
شرح اسم الله الأول والآخر والظاهر والباطن
المطلب الأول: شرح اسم الله "الأول"

أولاً: المعنى اللغوي:

المعنى اللغوي: (أول) الهمزة والواو واللام أصلان يدلان على ابتداء الأمر وانتهاؤه، أما الأوَّل على الحقيقة فهو: مبتدأُ الشيء، وجائز أن يكون المبتدأ له آخر، وجائز ألا يكون له آخر؛ فالواحد أول العدد، والعدد غير متناه،ونعيم الجنة له أول، وهو غير منقطع (٣).

قال الراغب في المفردات: " الأول: الذي يترتب عليه غيره ومستعمل على أوجه: أحدها: المتقدم بالزمان كقولك: عبد الملك أولاً ثم منصور. الثاني: المتقدم بالرياسة في الشيء، وكونه غيره محتذيًا به نحو: الأمير أولاً ثم الوزير. الثالث: المتقدم بالوضع والنسبة، كقولك للخارج من العراق: القادسية أولاً ثم فيد، وتقول للخارج من مكة: فيد أولاً ثم القادسية. الرابع: المتقدم بالنظام الصناعي، نحو أن يقال: الأساس أولاً ثم البناء"(٤)

ثانيًا: المعنى في حق الله:

أحسن التفسيرات ما ذكره أعلم البشر بالله تعالى؛ نبينا محمد e في قوله: (أنت الأول فليس قبلك شيء)(٥). قال ابن جرير -رحمه الله تعالى- في تفسيره: "هو (الأول): قبل كل شيء بغير حد"(٦).وقال الخطابي: "(الأول) هو السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية، إذ كان موجودًا، ولا شيء قبله ولا معه"(٧). ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "(الأول): يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويجب على العبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية إذ السبب والمسبب منه تعالى"(٨).

ومن المعاني أيضا: أن الأولية في الأشياء مرجعيتها إلى الله خلقا وإيجادا وعطاء وإمدادا، قال تعالى: ﴿كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً علينَا إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿قُل يُحْيِيهَا الذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩]، وعند أبي داود وصححه الألباني من حديث عبادة t أن رسول الله e قال: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)(٩) (١٠).

وقد جرى على ألسنة كثير من المتكلمين وبعض أهل السنة –أحيانًا– تسمية الله تعالى بـ"القديم"، والقديم ليس من أسماء الله الحسنى، والتزام تسميته بالأول يؤدي معنى القديم وزيادة، وهو الموافق للكتاب والسنة واللغة؛ فالقديم يدل على كل متقدم على غيره في الزمان، وأما الأول فإنه يدل على التقدم المطلق على كل شيء(١١).

المطلب الثاني

شرح اسم الله "الآخر"

أولاً: المعنى اللغوي:

(أخر) الهمزة والخاء والراءُ أصل واحدٌ إليه ترجع فروعُه، وهو خلاف التقدُّم(١٢)، فالآخرُ والآخِرَةُ:نقيض المتقدم والمتقدمة(١٣).

قال الراغب: "(الآخِر) يقابل به (الأول)، (وآخَرُ) يقابل به (الواحد)" (١٤).

ثانيا: المعنى في حق الله تعالى:

أحسن التفسيرات للمعنى وأكملها ما فسره أعرف البشر بالله –عز وجل– وذلك في قوله: (وأنت الآخر فليس بعدك شيء). قال ابن جرير: "(الآخر) بعد كل شيء بغير نهاية" (١٥)، وقال الخطابي: "(الآخر) هو الباقي بعد فناء الخلق، وليس معنى (الآخر) ما له انتهاء، كما ليس معنى (الأول) ما له ابتداء" (١٦)، ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته"(١٧).

ومن معاني اسم الله الآخر: "أنه الذي تنتهي إليه أمور الخلائق كلها كما ورد عند البخاري من حديث البراء t أن النبي e قال: (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ)(١٨) " (١٩).

المطلب الثالث

شرح اسم الله "الظاهر"

المعنى اللغوي:

(ظهر) الظاء والهاء والراء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على قوّةٍ وبروز، من ذلك ظَهَرَ الشيءُ يظهرُ ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشفَ وبرزَ [٢٠]. الظّهْر: خلافُ البَطْن من كلّ شيء، وكذلك الظَّهْر من الأرض: ما غِلُظ وارتفَع [٢١]، والظّهور: الظَّفَر بالشيء والاطّلاع عليه؛ يقال: أظهر الله المسلمين على الكافرين: أي أعلاهُمْ عليهم، وأظهرَني الله على ما سُرِق منِّي أي أعثرني عليه [٢٢].

معنى الاسم في حق الله:

أحسن التفسيرات للمعنى وأكملها ما فسره أعرف البشر بالله –عز وجل– وذلك في قوله (وأنت الظاهر فليس فوقك شيء).

قال ابن جرير الطبري: "وقوله: (والظاهر) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه" [٢٣]. قال ابن الأَثير: "الظاهر في أسماء الله هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه، وقيل: الظاهر هو الذي عُرِفَ بطريق الاستدلال العقلي بما ظهر لهم من آثار أَفعاله وأَوصافه" [٢٤].ويقول ابن تيمية –رحمه الله–: "واسمه –جلا وعلا– الظاهر ضمن معنى العالي كما قال: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]...، فكلما علا الشيء ظهر، ولهذا قال: (أنت الظاهر، فليس فوقك شيء) فأثبت الظهور، وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شيء" [٢٥]. وقال في موضع آخر: "وهذا غاية الكمال في العلو أن لا يكون فوق العالي شيء موجود، والله موصوف بذاك" [٢٦]. يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "و(الظاهر): يدل على عظمة صفاته واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات، ويدل على علوه" [٢٧]

* ومما يتنبه له أنه لا يصح أن يفسر اسم الله الظاهر بأن المراد به الفوقية في القدْر فقط، وكذلك أيضًا لا يصح أن يفسر بأنه ظهور الغلبة والقهر فقط، قال ابن القيم –رحمه الله– في ذلك:" هو سبحانه فوق كل شيء فمن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم اسمه الظاهر، ولا يصح أن يكون الظاهر هو من له فوقية القدر فقط،كما يقال:

الذهب فوق الفضة والجوهر فوق الزجاج؛ لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور، بل قد يكون المفوقُ أظهر من الفائق فيها، ولا يصح أن يكون ظهور القهر والغلبة فقط وإن كان سبحانه ظاهرا بالقهر والغلبة لمقابلة الاسم الباطن: وهو الذي ليس دونه شيء، كما قابل الأول الذي ليس قبله شيء بالآخر الذي ليس بعده شيء" [٢٨].

المطلب الرابع

شرح اسم الله "الباطن"

المعنى اللغوي:

(بطن) الباء والطاء والنون أصلٌ واحدٌ لا يكاد يُخْلِف، وهو إنْسِيُّ الشيءِ والمقْبُلِ مِنه. فالبطن خِلافُ الظهر، تقول بَطَنْتُ الرّجلَ إذا ضربْتَ بَطنَه، وباطِنُ الأمْرِ خلافُ ظاهِرِه، والله تعالى هو الباطنُ؛ لأنه بَطَن الأشياءَ خُبْراً، تقول: بطَنْتُ هذا الأمْرَ، إذا عرفْتَ باطنَه[٢٩]، ويقال: بَطَن فلان بفلان يُبْطُن به بُطوناً: إذا كان خاصاً به، داخلًا في أمره. ويقال: إن فلانا لذو بِطانة بفلان: أي ذو علم بداخلة أمره[٣٠].

معنى الاسم في حق الله:

أحسن التفسيرات للمعنى وأكملها ما فسره أعرف البشر بالله -عز وجل- وذلك في قوله: (وأنت الباطن فليس دونك شيء).

يقول الطبري رحمه الله تعالى: "و(الباطن): وهو الباطن لجميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]" [٣١]

وقال الزجاج: "(والباطن): هو العالم ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلانًا وخبرته إذا عرفت باطنه وظاهره، والله عارف ببواطن الأمور وظواهرها، فهو ذو الظاهر، وذو الباطن" [٣٢]

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر والضمائر والخبايا والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربه ودنوه، ولا يتنافى الظاهر والباطن؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت؛ فهو العلي في

دنوه، القريب في علوه" [٣٣]. "وصفة البطون تشمل العلم والإحاطة والهيمنة، وتشمل عظمة الذات وجلالها من وراء الحجاب وتقليب الأسباب على مقتضى الحكمة في ابتلاء العباد ؛ فالله عز وجل هو الباطن الذي أحاط بهم من كل الوجوه، قال تعالى: ﴿وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج:٢٠]، وعند مسلم من حديث أبي موسى t أن النبي e قال: (حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلقِهِ)[٣٤]" [٣٥].

*ولقد جاءت هذه الأسماء الأربعة المباركة معطوفة على بعضها، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ..﴾ [الحديد: ٣]، وسبب ذلك رفعًا لاستبعاد من يستبعد اجتماع هذه الصفات فيه؛ لأنها أسماء متضادة المعاني في أصل الوضع فرفع الوهم بالعطف عن من يستبعد ذلك في ذات واحدة فإن الشيء الواحد لا يكون باطنا ظاهرا من وجه واحد فكان العطف ها هنا أحسن [٣٦].

المبحث الثالث

الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الأول والآخر

١- أن عبوديته جل وعلا بهذين الاسمين تقتضي دوام الفقر والاضطرار إليه فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة إذ هي عدم قبل وجوده فتجرد من الالتفات إليها، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، ويبقى الدائم بعدها فلا تتعلق بها.

وهذا ما بينه ابن القيم -رحمه الله تعالى- فقال: "فعبوديته باسمه (الأول) تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، وإنما هو عدم محض، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا، فمنه سبحانه الإعداد، ومنه الإمداد وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزل اسمه (الأول) على هذا المعنى أوجب له فقرًا خاصًا وعبودية خاصة. وعبوديته باسمه (الآخر) تقتضي أيضًا عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة، وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق

بما يعدم وينقضي، والتعلق بـ(الآخر) سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به.

فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلى الله وحده، ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتدأ منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، فهو أول كل شيء وآخره..." (٣٧)

٢- إذا استشعر العبد أن الله هو الأول علم أن كل نعمة في الكون هو الذي ابتدأها؛ حيث هو الأول سبحانه؛ فبفضله ورحمته خلق الإنسان، وهداه ووفقه، وبفضله أوصله إلى رحمته، تأمل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤].

مما يدفع بالعبد المنيب إذا رفع يديه لخالقه سائلاً إياه نعمه أن يسأله من واسع فضله مقدماً بين يدي رجائه اسم ربه (الأول)؛ فهو المعد إذ كل نعمة هو مبدأها سبحانه، وباسمه (الآخر) أن يديمها عليه، لأن منتهى كل خير إليه (٣٨)، جاء في الحديث القدسي (يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم؛ وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني؛ فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته: ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقص المخيط إذا أُدخل البحر) (٣٩).

وقد ذكر ابن القيم ما يفيد ذلك فقال -رحمه الله تعالى-: "قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[محمد: ١٧]، فهداهم أولاً فاهتدوا فزادهم هدى ثانيًا...وهذا من سر اسميه (الأول والآخر): فهو المعد وهو الممد، ومنه السبب والمُسبَّب وهو الذي يعيذ من نفسه بنفسه كما قال أعرف الخلق به: (وأعوذ بك منك)(٤٠)" (٤١).

٣- أنه يورث إفراده سبحانه بالألوهية والمحبة والقصد، فإنك إن آمنت بأن الله الأول وابتداء النعمة منه، فاجعل عبادتك وشكرك إليه، فإنه الآخر سبحانه.

قال ابن القيم مشيرًا إلى ذلك: "فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ، فكما كان واحدًا في إيجادك فاجعله واحدًا في تألهك

إليه لتصح عبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه فاجعله نهاية حبك وإرادتك وتألهك إليه لتصح لك عبوديته باسمه (الأول والآخر) وأكثر الخلق تعبدوا له باسمه(الأول)، وإنما الشأن في التعبد له باسمه (الآخر)[٤٢] فهذه عبودية الرسل وأتباعهم، فهو رب العالمين وإله المرسلين سبحانه وبحمده"[٤٣].

٤- من علم أنه سبحانه الأول والآخر، وأنه الدائم الحي الذي لا يموت سبحانه، فكل شيء ينتهي إليه، ويعود إليه، فلا يفلت أحد من قبضته ولا يدوم أحد إلا وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

ذلك الذي يورث في العبد معرفة حقيقة الدنيا، فيقصر أمله فيها لعلمه أنها منقطعة، والكل عنها راحلون، وعن وراثتها زائلون، ويدفعه إلى أن يجتهد للآخرة، فلا يفرح فيها بموجود ولا يأسف منها بمفقود، فنعيم الدنيا بحذافيره في جنب نعيم الآخرة أقل من ذرة في جنب جبال الدنيا كما قال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ، سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٠-٢١] فأخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، وبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

يقول ابن القيم -رحمه الله- مُرشداً من أراد ذلك الطريق: "لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخسّتها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين. (النظر الثاني) في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما هاهنا فهي كما قال سبحانه: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى: ١٧] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة. فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل. فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل، وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة فإن الراغب في الدنيا الحريص عليه المؤثر لها إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقى وإما أن لا يصدق بذلك فكان عادمًا للإيمان رأسًا، وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيء الاختيار لنفسه وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين منه، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد الإيمان، وإما من فساد العقل وما أكثر ما يكون منهما".

ثم بين -رحمه الله- حال المصطفى عليه الصلاة والسلام، والصحابة ورغبتهم عن هذه الدنيا فقال:"ولهذا نبذها رسول الله e وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، واطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدّوها سجنًا لا جنّة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب ولوصلوا منها إلى كل مرغوب فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم

الزيارة حتى آذن الرحيل...." (٤٤).

المبحث الرابع
الآثار المسلكية للإيمان باسم الله الظاهر والباطن

١- أن التعبد باسم الله "الظاهر" واستشعار معناه يورث استقامة العبودية لله، وجعله سبحانه الملجأ والمنجى في كل وقت، قال ابن القيم -رحمه الله- مبينا ذلك: "فإذا تحقق العبد علوه المطلق على كل شيء بذاته، وأنه ليس فوقه شيء البتة، وأنه قاهر فوق عباده يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]، صار لقلبه أملا يقصده، وربا يعبده، وإلها يتوجه إليه.........فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه ويفر كل وقت إليه" (٤٥).

٢- يورث الإيمان باسم الله الباطن مراقبة الله في السر والعلن، في خلجات النفس وحركات الظاهر، فإنه شهيد رقيب، العليم ببواطن الأمور وظواهرها، يستوي عنده هذا وهذا، ﴿سوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ فيستوي عنده من هو مختف في قعر داره، ومن هو سائر في سربه طريقه في بياض النهار وضيائه، فعلم الله يتعقب كل فرد من بين يديه ومن خلفه، ويقيد عليه كل شاردة وكل واردة آناء الليل وأطراف النهار، وتأمل قوله تعالى: ﴿اعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ [البقرة:٢٣٥]، وقوله: ﴿وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ [العلق: ١٤ ٤٨]، وقوله: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر: ١٩] إلى غير ذلك من الآيات.

يقول ابن القيم -رحمه الله- في ذلك: "وأما التعبد باسمه (الباطن) فإذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب البعيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر وأنه لا شيء بينه وبينها فعامله بمقتضى هذا الشهود، وطهر له سريرتك فإنها عنده علانية، وأصلح له غيبك فإنه عنده شهادة، وزك له باطنك فإنه عنده ظاهر" (٤٦).

٣- من علم أن ربه هو الظاهر والباطن ترك ظاهر الإثم وباطنه، قال تعالى: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) [الأنعام:١٢٠]؛ قال مجاهد: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ المعصية في السر والعلانية، وفي رواية عنه، هو ما ينوي مما هو عامل، وقال قتادة: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أي سره وعلانيته قليله وكثيره [٤٧].

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "المراد بالإثم: جميع المعاصي التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم والحرج من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، فنهى الله عباده، عن اقتراف الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد ترك المعاصي الظاهرة والباطنة إلا بعد معرفتها، والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفة معاصي القلب والبدن والعلمُ بذلك واجبًا متعينًا على المكلف. وكثير من الناس، تخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصًا معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة، ثم أخبر تعالى، أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون على حسب كسبهم، وعلى قدر ذنوبهم، قلَّت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته" [٤٨] .

٤- ومن الآثار الإيمانية أيضًا أنه بعد يقينك بإحاطة الله لهذا الكون، وأنه هو الباطن الذي ليس دونه شيء، ولا يخفى عليه شيء، كان هذا دافعًا لك بأن تحرص أن يكون لك خبايا من عمل صالح تقربك إلى الله، قال الزبير: (من استطاع منكم أن يكون له خبئ من عمل صالح فليفعل) [٤٩] .

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١]، قال ابن القيم في طريق الهجرتين: "فأخبر أن إعطاءَها للفقير في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها، وتأمل تقييده تعالى الإخفاءَ بإيتاءِ الفقراءِ خاصة ولم يقل: (وإن تخفوها فهو خير لكم)، فإن من الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه كتجهيز جيش وبناءِ قنطرة

وإجراءِ نهر أو غير ذلك، وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد؛ الستر عليه وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة، وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى وأنه فقير لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص، وعدم المراءَاة وطلبهم المحمدة من الناس، وكان إخفاؤها للفقير خيراً من إظهارها بين الناس، ومن هذا مدح النبي e صدقة السر وأثنى على فاعلها وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة" ا.هـ(٥٠)، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله e:«إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي»(٥١).

٥- ولما كان سبحانه "الباطن" الذي ليس دونه شيء، فهو أقرب إلى كل شيء، ومن ثمرات الإيمان بذلك، استشعار قرب الله الخاص من عباده المؤمنين، وهذا القرب من لوازم محبته جل وتبارك، فكلما كان الحب أَعظم كان القرب أَكثر، فالتعبد بهذا الاسم هو التعبد بخالص المحبة، وأَن يكون الإله أَقرب إليك من كل شيء.

يقول ابن القيم في طريق الهجرتين: "وأما القرب المذكور في القرآن والسُّنَّة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، فهذا قربه من داعيه، وقال تعالى: ﴿إِنّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ مّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، فوجد الخبر وهو قريب عن لفظ الرحمة وهي مؤنثة إيذاناً بقربه تعالى من المحسنين، فكأنه قال: إن الله برحمته قريب من المحسنين، وفي الصحيح عن النبي e قال: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ)(٥٢)، و(أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ)(٥٣)، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون، وفي الصحيح من حديث أَبي موسى أَنهم كانوا مع النبي e في سفر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فإنكم لا تَدْعُونَ أَصمَّ وَلا غائِباً، إنَّه معكم سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تباركَ اسمُه وتعالى جدُّه)(٥٤)، فهذا قربه من داعيه وذاكره، يعنى فأي حاجة بكم إلى رفع الأَصوات وهو لقربه يسمعها وإن خفضت، كما يسمعها إذا رفعت، فإنه

سميع قريب"، ثم قال: "وهذا القرب هو من لوازم المحبة فكلما كان الحب أَعظم كان القرب أَكثر، وقد استولت محبة المحبوب على قلب محبه بحيث يفنى بها عن غيرها، ويغلب محبوبه على قلبه حتى كأنه يراه، فالتعبد بهذا الاسم هو التعبد بخالص المحبة وصفو الوداد، وأَن يكون الإله أَقرب إليه من كل شيء وأَقرب إليه من نفسه مع كونه ظاهراً ليس فوقه شيء"(٥٥).

٧- إيمانك باسم الله "الباطن" يقودك أن تجعل بطانتك صالحة، كيف وقد نهاك ربك من اتخاذ بطانة السوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ [آل عمران:١١٨] يقول ابن كثير: "يقول تبارك وتعالى ناهياً عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم، لا يألون المؤمنين خبالاً، أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم، وقوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخلة أمره" (٥٦). فاحرص على انتقاء بطانة صالحة وذلك من خلال اختيار الخادم الصالح المسلم والصديق المؤمن الناصح، وفي الحديث الحسن: (لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامَك إلا تقي)(٥٧)، وعن أبي هريرة قال: قال النبي e لأبي الهيثم: (هل لك خادم؟ قال: لا، قال: فإذا أتانا سبي فأتنا، فأُتي النبي e برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم، قال النبي e: اختر منهما، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي e: إن المستشار مؤتمن، خذ هذا فإني رأيته يصلي واستوص به معروفا، فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله e، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي e إلا أن تعتقه، قال: هو عتيق، فقال النبي e: (ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله)(٥٨).

٨- أن إيماننا بأنه سبحانه "الباطن" الذي لا تدركه أبصار خلقه في الدنيا، تجعلنا

نسعى لرؤيته سبحانه في الآخرة، عند البخاري من حديث جَرِير بْن عَبْدِ اللَّهِ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ e إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: (أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ أَوْ لاَ تُضَاهُونَ في رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾(٥٩)، وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾، قال: من النعيم، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظرا ثم حكى عن ابن عباس مثله، وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل (٦٠).

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم فسرها بذلك رسول الله e والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي e قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل "ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦] (٦١).

٩- أن من علم أن الله هو "الظاهر" الغالب علم أنه ناصر لدينه على جميع الأديان بعز عزيز أو بذل ذليل، تأمل قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨]، وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء:١٨].

وقد يُنظر أحيانًا إلى حال المؤمنين في هذه الدنيا وغلبة الكفار عليهم فيظن أن أهل الدين الحق يكونون في الدنيا أذلاء مقهورين مغلوبين دائما، بخلاف من فارقهم إلى سبيل أخرى وطاعة أخرى، فلا يثق بوعد الله بنصر دينه وعباده، وهذا سوء فهم لكلام الله عز وجل، والله قد بين أنه ناصر لدينه وجنده، أما ظهور الكفار

على المسلمين في بعض الأحيان، فقد بين أسباب ذلك الإمام ابن القيم –رحمه الله– في أصول جامعة نافعة، فقال: "**الأصل الأول:** أن ما يصيب المؤمنين من الشرور والمحن والأذَى دون ما يصيبُ الكفار، والواقعُ شاهد بذلك، وكذلك ما يصيب الأبرار في هذه الدنيا دون ما يصيب الفجار والفساق والظلمة بكثير. **الأصل الثاني:** أن ما يصيب المؤمنين في الله تعالى مقرون بالرضا والاحتساب، فإن فاتَهُمْ الرضا فمعَوَّلهم على الصبر، وعلى الاحتساب، وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ومؤنته؛ فإنهم كلما شاهدوا العِوَض هان عليهم تحمل المشاقّ والبلاء، والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب، وإن صبروا فكصبر البهائم، وقد نبه تعالى على ذلك في قوله: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]؛ فاشتركوا في الألم، وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفى من الله تعالى. **الأصل الثالث:** أن المؤمن إذا أُوذيَ في الله فإنه محمول عنه بحسب طاعته وإخلاصه، ووجود حقائق الإيمان في قلبه، حتى يحمل عنه من الأذَى ما لو كان شيء منه على غيره لعَجز عن حمله، وهذا من دَفع الله عن عبده المؤمن؛ فإنه يدفع عنه كثيرًا من البلاء، وإذا كان لا بدَّ له من شيء منه دَفع عنه ثقله ومؤنته ومشقته وتبعَته. **الأصل الرابع:** أن المحبة كلما تمكنت في القلب ورَسَخت فيه، كان أذى المحبِّ في رضا محبوبه مُسْتحلى غير مسخوط... **الأصل الخامس:** أنَّ ما يصيبُ الكافرَ والفاجرَ والمنافق من العز والنصر والجاه دون ما يحصلُ للمؤمنين بكثير، بل باطن ذلك ذلٌّ وكسرٌ وهوان، وإن كان في الظاهر بخلافه.قال الحسنُ رحمه الله: "إنهم وإن هَمْلَجت بهم البراذين وطَقطَقَتْ بهم البغال إن ذلّ المعْصِية لفي قلوبهم؛ أبَى الله إلا أن يُذل مَنْ عصاه". **الأصل السادس:** أن ابتلاء المؤمن كالدّواء له يَسْتخرجُ منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصَتْ ثوابه، وأنزلت درجته، فيُستخرجُ الابتلاءُ والامتحان منه تلك الأدواء ويَسْتعدُّ به لتمام الأجر وعلوّ المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه؛ كما قال النبي **e**: (والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرَّاء شكرَ، فكان خيرًا له،

وإن أصابته ضَرَاء صبر، فكان خيرًا له) [٦٢].. **الأصل السابع:** أنَّ ما يصيبُ المؤمن في هذه الدار من إدالة عَدُوه عليه، وغلبته له، وأذاه له في بعض الأحيان: أمرٌ لازم لا بد منه، وهو كالحرِّ الشديدِ، والبرْد الشديد، والأمراض والهموم والغموم؛ فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم، لما اقتضَتْه حكمةُ أحكم الحاكمين؛ فلو تجرَّد الخيرُ في هذا العالم عن الشرِّ، والنفعُ عن الضرّ، واللذة عن الألم، لكان ذلك عالمًا غير هذا، ونشأة أخرى غير هذه النشأة، وكانت تَفُوتُ الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر...**الأصل الثامن:** أن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم، وكسرهم لهم أحيانًا، فيه حكمةٌ عظيمةٌ لا يعلمها على التَّفْصِيل إلا الله عز وجل [٦٣]. **الأصل التاسع:** أنه سبحانه وتعالى إنما خلق السماوات والأرض وخلق الموت والحياة وزين الأرض بما عليها لابتلاء عباده، وامتحانهم، ليعلم من يريده ويريد ما عنده ممن يريد الدنيا...**الأصل العاشر:** وهو أن الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، واعتقادات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر.... ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل من الألم المترتب على موافقتهم.... الخ. **الأصل الحادي عشر:** أن البلاء الذي يصيب العبد في الله لا يخرج عن أربعة أقسام، فإنه إما أن يكون في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه أو في أهله ومن يحب. والذي في نفسه قد يكون بتلفها تارة، وبتألمها بدون التلف، فهذا مجموع ما يبتلى به العبد في الله.. " [٦٤] أ.هـ

المبحث الخامس
الآثار المسلكية للإيمان بأسماء الله: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، مقترنة

وبعد؛ فيما يلي ذكر لبعض الآثار الإيمانية للإيمان بهذه الأسماء الأربعة مقترنة (الأول والآخر والظاهر والباطن) فالله عز وجل من حكمته أنه يقرن بين أسمائه في كثير من المواضع لتظهر دلالتها على أوصافه ككمال فوق الكمال وجلال فوق الجلال بحيث تتجلى عظمة رب العزة والجلال في أسمائه وصفاته ومن ذلك:

• أنه باقتران الأسماء الأربعة فقد دل مجموعها على معنى الإحاطة المطلقة، والكمال، وأنه لا مناص للعبد من ركونه وافتقاره إلى رب العزة والجلال. فحصل من المعاني باقترانها جلال فوق الكمال الذي ينفرد به كل اسم منها على حده، قال ابن القيم –رحمه الله–: "فمدار هذه الأَسماءِ الأَربعة على الإحاطة وهي إحاطتان زمانية ومكانيه؛ فأَحاطت أَوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أَوليته وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأَحاطت أَوليته وآخريته بالأَوائل والأَواخر، وأَحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده فالأَول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأَوليته وبقى بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه فلا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا يحجب عنه ظاهر باطن...الخ" (٦٥).

• العلم بمعاني هذه الأسماء له أثر عظيم في دفع الوسوسة، ورد كيد الشيطان في نحره، يقول ابن القيم:" وأرشد من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين إذا قيل له: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ أَنْ يَقْرَأَ ﴿هو الْأَوّلُ وَالْآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، كذلك قال ابن عباس لأبي زميل سماك بن الوليد الحنفي وقد سأله: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قال: قلت: والله لا أتكلم به، قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قلت: بلى، فقال لي: ما نجا من ذلك أحد حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكّ مِمّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤] قال: فقال لي: فإذا وجدت في نفسك شيئا فقل: ﴿هُوَ الْأَوّلُ وَالْآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٦٦)، فأرشدهم بهذه الآية إلى بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلى أول ليس قبله شيء كما تنتهي في آخرها إلى آخر ليس بعده شيء كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء وبطونه هو الإحاطة التي لا يكون دونه فيها شيء ولو كان قبله شيء يكون مؤثرا فيه لكان ذلك هو الرب الخلاق ولا بد أن ينتهي الأمر إلى خالق

غير مخلوق وغني عن غيره وكل شيء فقير إليه قائم بنفسه وكل شيء قائم به موجود بذاته وكل شيء موجود لا به قديم لا أول له وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه باق بذاته وبقاء كل شيء به فهو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء.. "[٦٧].

وقال e : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)[٦٨]. "وقد قال تعالى: ﴿وَإِمّا يَنْزَغَنّكَ مِنَ الشّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]، ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يرى عيانا وهو شيطان الإنس ونوع لا يرى وهو شيطان الجن أمر سبحانه وتعالى نبيه e أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه، وجميع بين النوعين في سورة الأعراف وسورة المؤمنين وسورة فصلت والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن، والعفو والإعراض والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطن الإنس" [٦٩].

• أن المتأمل في سورة الحديد يجد أن الآية التي فيها هذه الأسماء الأربعة "الأول والآخر والظاهر والباطن" جاءت في مطلع السورة كما قال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، ولو تأمل الناظر والقارئ لهذه السورة لوجد أن معاني هذه الأسماء الأربعة تضمنتها هذه السورة العظيمة، فإنه تعالى تحدث عن أولويته فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]، وهذا يدل على أنه الباطن العالم المطلع المحيط بكل شيء، ثم قال ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الحديد:٥] ليخبر أنه الآخر ومصير الأشياء إليه. وهو الباطن لأنه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد:٦]، وهو الأول لأن مبتدأ النعمة منه سبحانه: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ

فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:٧]. وهو الآخر، لأن مرجع النعم إليه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد:١٠]، ولأنه سبحانه الأول فإنه يحب الأوائل أهل السبق: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

● أثر هذه الأسماء الأربعة "الأول والآخر والظاهر والباطن" في حفظ العبد، وغناه، وعونه، فقد كان يقولها e قبل نومه، وفي الحديث الصحيح: كان رسول الله e يقول إذا أوى إلى فراشه: (اللهم رب السماوات والأرض، ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عني الدين، وأغنني من الفقر)، وفي رواية أخرى: (جَاءَتْ فَاطِمَة إِلَى النَّبِيّ e تَسْأَلهُ خَادِمًا فَقَالَ: أَلَا أَدُلّك عَلَى مَا هُوَ خَيْر مِنْ خَادِم ؟ تُسَبِّحِينَ "، فَذَكَرَهُ وَزَادَ وَتَقُولِينَ: اللَّهُمَّ رَبّ السَّمَاوَات السَّبْع وَرَبّ الْعَرْش الْعَظِيم، رَبّنَا وَرَبّ كُلّ شَيْء، مُنْزِل التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل وَالزَّبُور وَالْفُرْقَان، أَعُوذ بِك مِنْ شَرّ كُلّ ذِي شَرّ، وَمِنْ شَرّ كُلّ دَابَّة أَنْتَ آخِذ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّل فَلَيْسَ قَبْلك شَيْء، وَأَنْتَ الْآخِر فَلَيْسَ بَعْدك شَيْء، وَأَنْتَ الظَّاهِر فَلَيْسَ فَوْقك شَيْء، وَأَنْتَ الْبَاطِن فَلَيْسَ دُونك شَيْء، اِقْضِ عَنِّي الدَّيْن وَأَغْنِنِي مِنْ الْفَقْر).

● أثر مشاهدة المخلوق لهذه الصفات في نفسه؛ يقول ابن القيم في طريق الهجرتين: "واعلم أن لك أنت أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، بل كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس وأدنى من ذلك وأكثر، فأولية الله عَزَّ وجَلَّ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه فأوليته سبقه لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضى العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه. وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء؛ بحيث يكون أقرب إليه من نفسه وهذا قرب غير قرب

المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون.." (٧٠).

●وأخيرًا.. أن تتعبد الله بهذه الأسماء، وذلك على مرتبتين:

المرتبة الأولى: أَن تشهد الأَولية منه تعالى في كل شيء، والآخرية بعد كل شيء، والعلو والفوقية فوق كل شيء، والقرب والدنو دون كل شيء، فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والرب جل جلاله ليس دونه شيء أَقرب إِلى الخلق منه.

المرتبة الثانية: أَن يعامل كل اسم بمقتضاه، مما سبق بيانه من مقتضيات هذه الأسماء الحسنى (٧١).

"اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الْمَغْرَمَ، واغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ ".

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، هذا ما وسعه جهد المقل، وجاد به القلم، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أبرز النتائج:

- العلم بالأسماء والصفات على قسمين: ما يتعلق بها وإثباتها، وقواعد الأئمة في ذلك، والرد على المخالفين من أهل التأويل والتحريف والتعطيل، والتشبيه والتكييف والتفويض، والثاني ما يتعلق بأثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على منهاج السلف الصالح في حياة المؤمن خاصة، وأمة الإسلام عامة، وهو القسم الذي يحتاج إلى مزيد من الاهتمام، إذ هو ثمرة الإيمان بهذه الأسماء.
- صحة حديث أبو هريرة؛ رواه الإمام مسلم في صحيحه، وغيره من الأئمة بسند صحيح.

- أحسن ما قيل في تفسير هذه الأسماء المباركة، ما قاله المصطفى عليه الصلاة والسلام:".. الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء.."
- من أبرز الآثار المسلكية للإيمان باسم الله " الأول، والآخر" أن عبوديته جل وعلا بهذين الاسمين تقتضي دوام الفقر والاضطرار إليه فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإليه تنتهي الأسباب والوسائل.
- ومنها أيضًا: أنه يورث إفراده سبحانه بالألوهية والمحبة والقصد، فإنك إن آمنت بأن الله الأول وابتداء النعمة منه، فاجعل عبادتك وشكرك إليه، فإنه الآخر سبحانه، وهذا الذي من أجله الرسل المرسلين.
- ومنها أيضًا: يورث في العبد معرفة حقيقة الدنيا، فيقصر أمله فيها لعلمه أنها منقطعة وذلك لأنه علم أنه سبحانه الأول والآخر، وأنه الدائم الحي الذي لا يموت سبحانه، وأن كل شيء ينتهي إليه، ويعود إليه، فلا يفلت أحد من قبضته.
- أن التعبد باسم الله "الظاهر" واستشعار معناه يورث استقامة العبودية لله، وجعله سبحانه الملجأ والمنجى في كل وقت.
- من آثار التعبد باسمه "الباطن" أنك إذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب البعيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر وأنه لا شيء بينه وبينها دفعك إلى أن تعامله بمقتضى هذا الشهود، وتطهر له سريرتك فإنها عنده علانية، وتترك ظاهر الإثم وباطنه.
- ومن الآثار الإيمانية أيضًا أنه بعد يقينك بإحاطة الله لهذا الكون، وأنه هو الباطن الذي ليس دونه شيء، كان هذا دافعًا بأن تحرص أن يكون لك خبايا من عمل صالح تقربك إلى الله.
- ومن ثمرات الإيمان باسمه الباطن، استشعار قرب الله الخاص من عباده المؤمنين، وهذا القرب من لوازم محبته جل وتبارك.
- أن من علم أن الله هو "الظاهر" الغالب علم أنه ناصر لدينه على جميع الأديان

بعز عزيز أو بذل ذليل.

- من الآثار الإيمانية لهذه الأسماء المباركة مقترنة: أنها دلت بمجموعها على إحاطة الله الزمانية والمكانية، وهي لها أثر في عون العبد كما جاء في الحديث الصحيح المتقدم، كما أن لها أثر في دفع تسلسل الوساوس والشكوك كما جاء في الأدعية النبوية، وغير ذلك.

هوامش البحث:

(١) الصواعق المرسلة (٣٦٦/١)

(٢) يراجع: ولله الأسماء الحسنى ص١٠-١٩.

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٠٧/٥)،معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٨/١).

(٤) المفردات ص٣١- ٣٢.

(٥) رواه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول ثم النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ (٢٧١٣)

(٦) في تفسيره جامع البيان (١٢٤/٢٧).

(٧) شأن الدعاء، ص٨٧-٨٨.

(٨) شرح الأسماء الحسنى ص١٦٩.

(٩) أبو داود في السنة، باب في القدر ٢٢٥/٤ (٤٧٠٠)، وانظر صحيح الجامع (٢٠١٨).

(١٠) أسماء الله الحسنى، د.محمود الرضواني (٨٢/٣).

(١١) ولله الأسماء الحسنى١٦٨.

(١٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٧٠/١)

(١٣) تهذيب اللغة (٢٠/٣)

(١٤) المفردات، ص١٣.

(١٥) جامع البيان (٢١٥/٢٧).

(١٦) شأن الدعاء، ص٨٤.

(١٧) مدارج السالكين (١١٣/٣).

(١٨) البخاري في الدعوات، باب فضل من بات على الوضوء ٩٧/١ (٢٤٤).

(١٩) أسماء الله الحسنى، د. الرضواني (٢٥/٢)

(٢٠) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٧١/٣)

(٢١) تهذيب اللغة (٣١٧/٢)

(٢٢) تهذيب اللغة (٣٢٠/٢)

(٢٣) جامع البيان (١٢٤/٢٧).

(٢٤) النهاية في غريب الحديث ١٦٤/٣.

(٢٥) مجموع الفتاوى (٢٢٠/٢).

(٢٦) درء التعارض (١١/٧).

(٢٧) شرح الأسماء الحسنى، ص١٧٠.

(٢٨) مدارج السالكين (٣١/١)

(٢٩) معجم مقاييس اللغة (٢٥٩/١)

(٣٠) تهذيب اللغة (٤١٣/٤).

(٣١) جامع البيان (١٢٤/٢٧).

(٣٢) تفسير أسماء الله الحسنى ص٦١.

(٣٣) شرح الأسماء الحسنى، ص١٧٠.

(٣٤) مسلم في الإيمان، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام ١٦١/١ (١٧٩).

(٣٥) أسماء الله الحسنى، د.محمود الرضواني (٨٣/٣).

(٣٦) الفصول المفيدة في الواو المزيدة (ص: ١٤٣)

(٣٧) طريق الهجرتين ص١٩-٢٠

(٣٨) أسماء الله الحسنى، د. الرضواني (٢٥/٢).

٣٩ رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧) (١٩٩٤/٤)

٤٠ يشير –رحمه الله– إلى الحديث الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ e لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِى عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».. يقول ابن أبي العز معلقا على هذا الدعاء العظيم: "فلا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعارف والعبودية، إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته ومعرفة عبوديته؛ إذ أن المحبوب والمكروه كله بقضاء الله ومشيئته، فكأنه يقول عياذي بك منك، وعياذي بحولك وقوتك ورحمتك مما يكون بحولك وقوتك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك. ولا أستعيذ بكمن شيء صادر عن غير مشيئتك، بل هو منك سبحانك" أ.هـ بتصرف، فدلالة اسم الله الأول والآخر في هذا الدعاء العظيم ظاهرة جلية لمن وفقه الله لحسن التدبر، وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم نسأل الله من فضله.

(٤١) مدارج السالكين (٣٢٠/١).

(٤٢) وإنما الشأن والامتحان هو في توحيد الألوهية؛ حيث إرسال الرسل وإنزال الكتب بإفراد الله بالعبادة والتأله وتحقيق الإخلاص للباري جل وعلا في كل أمر، فهنا المحك وبهذا يتبين الصادق من الكاذب ويتميز المؤمن من الكافر، أن يجعل العبد ربه منتهى رجاؤه؛ حيث الإيمان باسمه (الآخر).

(٤٣) طريق الهجرتين ص٢٠

(٤٤) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٤-٩٥)

(٤٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص:٢٠- ٢١)

(٤٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٦)

(٤٧) تفسير ابن كثير (٣/٣٢٣)

(٤٨) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧١)

(٤٩) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب المواعظ ١١٨٣٤ (٤٠٠/١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٩٦٢.

(٥٠) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٧٦)

(٥١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق. (٢٩٦٥) (٢٢٧٧/٤)

(٥٢) صحيح مسلم.كتاب الصلاة، باب مايقال في الركوع والسجود. ٤٨٢ (٣٥٠/١).

(٥٣) رواه الترمذي، ٣٥٧٩ (٥٦٩/٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٥٤) صحيح البخاري.كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير. ٢٩٩٢ (٥٧/٤).

(٥٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٢)

(٥٦) تفسير ابن كثير (١٠٦/٢)

(٥٧) أخرجه أبو داود. كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس،٤٨٣٢ (٢٠٣/٧)، والترمذي في سننه، بابما جاء في صحبة المؤمن ٢٣٩٥ (٦٠١/٤) [حكم الألباني عليه] :حديث حسن

(٥٨) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب المستشار مؤتمن، ٢٥٦ (ص: ١٣٥).

(٥٩) أخرجه البخاري،في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ٥٥٤، (١١٥/١)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة. باب فضل صلاتي الصبح والعصر. رقم ٦٣٣ (٤٣٩/١).

(٦٠) جامع البيان ٧٢/٤.

(٦١) صحيح مسلم.في كتاب الإيمان. باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه. (١٨١) (١٦٣/١)

(٦٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وإنما راوه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ٢٩٩٩(٢٢٩٥/٤) بلفظ :"عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»

(٦٣) وقد أورد عددًا من الحكم يراجع ذلك في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١٩٠/٢)

(٦٤) إغاثة اللهفان (١٨٧/٢-١٩٣).

(٦٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٤)

(٦٦) رواه أبو داود في أبواب النوم، باب في رد الوسوسة (٥١١٠) (٤٣٤/٧)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود(٤٢٦٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٦٧) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٢٢/٢-٤٢٣)

(٦٨) أخرجه البخاري، في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣٢٧٦. (١٢٣/٤)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الوسوسة في الإيمان وما يقولهمن وجدها، رقم ١٣٤.(١٢٠/١).

(٦٩) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٢٣/٢)

(٧٠) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٤)

(٧١) ينظر: المرجع السابق.

فهرس المراجع:

- الأدب المفرد المؤلف:محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية- بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.
- أسماء الله الحسنى، د. محمود عبد الرزاق الرضواني، مكتبة سلسبيل، ط/ الأولى، ١٤٢٦.
- الأسماء والصفات للبيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الحاشدي، قدم له: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر:مكتبة السوادي، جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م
- إغاثة اللهفان، المؤلف:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر:مكتبة المعارف،الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ٢
- تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م
- تفسير أسماء الله الحسنى، لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج، تحقيق/أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق. بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف:محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م
- تفسير القرآن العظيم، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة.الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة: الأولى،٢٠٠١م. عدد الأجزاء: ٨.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر :مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
- الجامع الكبير- سنن الترمذي، المؤلف:محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله e وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف:محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق:محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩
- درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ- ١٩٩١م.
- الدعاء للطبراني، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٣.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر :مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلامية، الكويت،الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
- سنن ابن ماجه لأبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد-محمَّد كامل قره بللي- عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٥
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (المتوفى:٢٧٥هالمحقق: شعَيب الأرنؤوط-محَمَّد كامِل قره بللي،الناشر:دار الرسالة العالمية.
- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر :مؤسسة الرسالة – بيروت.
- شأن الدعاء، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية
- شرح الأسماء الحسنى، الشيخ/عبد الرحمن السعدي، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢- السنة ٣٣-١٤٢١هـ.

- صحيح ابن حبان،لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بنمعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر :مؤسسة الرسالة– بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣
- صحيح الجامع الصغير وزياداته. لأبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي. عدد الأجزاء: ٢
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله.الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.عدد الأجزاء: ٤
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، القاهرة،مصر ،الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ
- عمل اليوم والليلة، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المحقق: د. فاروق حمادة، الناشر :مؤسسة الرسالة – بيروت.
- عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ«ابن السُّنِّي»، المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن– جدة/ بيروت، عدد الأجزاء: ١
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: حسن موسى الشاعر، الناشر: دار البشير– عمان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١
- الفوائد، المؤلف:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ– ١٩٧٣م
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري،المحقق: عبد العزيز إبراهيم الشهوان. الناشر: مكتبة الرشد–السعودية– الرياض، الطبعة: الخامسة،١٤١٤هـ–١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢
- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المحقق: عبد الرحمن بنمحمد بن قاسم، الناشر:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- مدارج السالكين بينمنازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق:محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بنمحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ٨ (القسم الذي حققه أحمد شاكر)
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله e، المؤلف:مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق:محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، عدد الأجزاء: ٥
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين،المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-
- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٢ هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف:مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى-محمود محمد الطناحي
- ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، د. عبد العزيز الجليل، الناشر: دار طيبة، الطبعة ٢١٤٢٩هـ.